مقـال عن
الثروة اللغوية القرآنية

إعـــداد
إبراهيم محمد محمود على
معلم لغة عربية بإدارة قوص التعليمية
مسجل لدرجة الماجستير – تخصص مناهج وطرق تدريس (اللغة العربية)

الثروة اللغوية القرآنية

اللغة العربية هي عنوان هويتنا العربية، ورمز كياننا القومي وهي جامعة شملنا، وموحدة كلمتنا، وهي حافظة ولغة قرآننا، قال تعالى:(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)(يوسف :٢) ؛ وذلك لأن لغة العرب أفصح لغات التخاطب بين الناس، وأبينها، وأوسعها، وأكثرها تأديةً للمعاني التي تقوم في النفوس، وهي اللغة التي أحكم الله تعالى بها ألفاظ آيات القرآن الكريم، وفصلت معانيها، فقال تعالى:(الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ) (هود:١) وهي واسطة نقل الأفكار وانتشارها، وهي العلاقة التي تربط بين أفراد الأمة وتعبر عن أحلامهم وآمالهم وعن أفراحهم وآلامهم ، وكما قال الشاعر:

لغة إذا وقعت على أسماعنا كانت لنا برداً على الأكباد
ستظل رابطة تؤلف بيننا فهي الرجاء لناطق بالضاد

وإذ زاك كان لابد من العمل على رعاية اللغة والاهتمام بها ، يقول الدكتور مرزوق بن تنباك (٧٧:٢٠٠٥) : إن طبيعة اللغة – أي لغة – وطبيعة الحياة، توجب استمرار الرعاية الدائمة والمتابعة المستمرة ؛ حتى لا تتجاوز الأشياء طبيعتها، وألا تترك الأحداث على سجيتها، واللغة كائن حي متطور، يحتاج إلى توجيه في نموه وتطوره؛ ليوافق السياق الذي ينسجم مع أصله ويعتمد على قاعدته، فهي كالشجرة الوارفة التي تنتشر أغصانها، وتتهدل حولها وتتسع بجانبها، وإذا لم تقطع هذه الأغصان، وتُشذب شجرة اللغة ، تحولت أغصانها إلى أحراش ونباتات ضعيفة، تعيش في كنف الشجرة الوارفة ، وتمص الماء الذي ينساق في أصلها وتحرمها الظل والشمس، فيضعف قوامها كل ما قويت الأعشاب المحيطة بها، وامتدت فروعها بعيداً عن أصلها وتشعبت اتجاهاتها، وانحرفت عن نسق الشجرة الأصل وسموها.

ومن أبرز أوجه العمل على رعاية اللغة والاهتمام به، والتمكن منها ، هو بناء قاعدة ؛ تكون منطلقا لمختلف مجالات اللغة ومهاراتها، وأداة للاتصال بماضينا، وعيش حاضرنا ، والحفاظ على مستقبل لغتنا وحضارتنا، وهذه القاعدة تتمثل فى اكتساب قدر جيد من الثروة اللغوية، وخير ما يمدنا بهذه الثروة هو القرآن الكريم،وهو على حد تعبير شحاته وآخرون (١٥:١٩٨٨) كتاب العربية الأكبر،ورمز وحدة الأمة العربية،وبه اكتسبت لغة العرب بقاءها وحيويتها، وبه صار العرب أمةً واحدةً مؤمنةً موحدةً متآلفة القلوب متجانسة المزاج ، متحدة اللسان ، متشابهة البيان ، ومنه استمد العرب علومهم ومعارفهم.

أولا: أثر القران فى زيادة الثروة اللغوية:

ينقل صفوان عدنان داوودى (٥٥:٢٠٠٩) عن الراغب الأصفهاني قوله : ألفاظ القرآن هي لُبّ كلام العرب وزبدته، وواسطته وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحِكَمهم، وإليها مفزع حذّاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم، وما عداها وعدا الألفاظ المتفرعات عنها والمشتقات منها، هو بالإضافة إليها كالقشور والنوى بالإضافة إلى أطايب الثمرة، وكالحُثالة والتِّبن بالإضافة إلى لبوب الحنطة .

وينقل محمد فاروق النبهان (٦٢:٢٠٠٤) عن الخطابي قوله : (إنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة: لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم، وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة، حتى لا ترى شيئًا من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه...) إلى أن قال: (واعلم أن القرآن إنما صار معجزًا؛ لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظم التأليف، مضمناً أصح المعاني) ، ثم قال: (واعلم أن عمود هذه البلاغة التي تجمع لها هذه الصفات ، هو وضع كل نوع من الألفاظ التي

تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به، الذي إذا أُبدل مكانه غيره جاء منه إما تبدل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام، وإما ذهاب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة).

إن ألفاظ القرآن الكريم التي يحصلها المرء بحفظه له، ليست كسائر الألفاظ؛ بل هي ألفاظ قد بلغت الغاية في الحسن والفصاحة والبلاغة، سلاسةً في النطق، وعذوبةً على السمع، ودقةً في الاختيار، للدلالة على المعنى المراد دلالة فائقة الوضوح، يُلحظ فيها مراعاة الفروق بين معاني الألفاظ المتقاربة، وملائمة الألفاظ للسياق، ومناسبة الفواصل للآي، وتصوير المعنى أكمل تصوير، يسهم في ذلك جرس الحروف الذي يوحي بالمعنى وحيًا، فيعطي للمعنى في النفس بعدًا وشعورًا عميقًا، وقد أكدت البحوث والدراسات الميدانية أثر حفظ القرآن الكريم وتلاوته في زيادة الثروة اللغوية من الألفاظ والتراكيب كما تبين سلفا.

ومما يدل على أثر القرآن الكريم في التزود من الثروة اللغوية تضمين البلغاء والأدباء في كلامهم معاني وألفاظًا من القرآن الكريم، أو جملاً توافق لفظ القرآن الكريم؛ مما يعد اقتباسًا في البلاغة العربية،ومن أمثلة ذلك: حديث أم العلاء – رضي الله عنها – في وفاة عثمان بن مظعون – رضي الله عنه – أن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال: «أَمَّا هُوَ فَقَدْ جَاءَهُ الْيَقِينُ، وَاللهِ، إِنِّي لأَرْجُو لَهُ الْخَيْرَ، وَاللهِ، مَا أَدْرِي وَأَنَا رَسُولُ اللهِ مَا يُفْعَلُ بِي» (البخارى)، وفي قوله: (جَاءَهُ الْيَقِينُ) موافقة لقوله تعالى: (حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِين) (الحجر: ٩٩)،-وفي قوله: « وَاللهِ، مَا أَدْرِي وَأَنَا رَسُولُ اللهِ مَا يُفْعَلُ بِي» موافقة لقوله تعالى: (قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِن الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ) (الأحقاف: ٩).

ثانيا:أهمية الثروة اللغوية القرآنية:

يبين محمد عبد الرءوف الشيخ (٢٠٠٠: ٧٣) أهمية الثروة اللغوية على النحو التالى:

- **الأهمية المعرفية:** وتتمثل فى زيادة الخبرات والتجارب والمعارف والمهارات التى يكتسبها الفرد، وبالتالى زيادة المحصول الفكرى والثقافى والفنى،على أساس أن الكلمات والصيغ اللفظية عامة هى المادة اللغوية الأساسية ، التى تدون بها المعارف والثقافات ؛ فيتمكن الإنسان العارف بها من الاستمرار فى التحصيل المعرفى ، والتزود بالخبرات والمهارات والثقافات على اختلافها.

- **الأهمية النفسية:** وتتمثل فى انفتاح الشخصية على ما يحيط بها ، ونمو غريزة الاجتماع لديها، ومن ثم روح الألفة والجرأة الأدبية والثقة بالنفس .

- الأهمية الاجتماعية : وتتمثل فى قدرة الفرد على التفاهم مع الآخرين والقدرة على التكيف والإبداع ، وعلى الإلقاء الفنى البليغ ، مما يساعد على بناء الشخصية الاجتماعية النفاذة ، وخلق الروح القيادية المؤثرة.

- الأهمية الحضارية: وتتمثل فى تمكين الفرد من فهم التراث من نتاج فكرى، ومن نماذج ونصوص وإبداعات أدبية ، والاتصال بالتراث والبحث عن نتاجات الأجيال الماضية ، الأمر الذي يؤدى إلى بناء ثقافة ، أصلها ثابت وفرعها فى السماء ، والاعتزاز بها وبالأمة ، وتقوية روابط الانتماء إليها والإخلاص لها.

يقول عبد الفتاح محمد محمد سلامة(١٤٠٠: ٩١،٩٢):" ومعاني القرآن على الرغم أنه نزل منجما إلا أنها تلاقت مقدماتها بنتائجها ومهدت أولاها لأخراها، ولن تجد في معاني القرآن ما تجده في غيره من كلام البشر من المعاني الساقطة أو التافهة، بل كل معانيه سامية قوية، آيات وسور اشتملت على أمور الدين والدنيا، وانتظمت سعادة الأولى والآخرة، ونزلت

هدى ونورا للبشرية كلها، وألفاظه إذا اشتدت فأمواج البحار الزاخـرة، وإذا هي لانت فأنفاس الحياة الآخرة، تذكر الدنيا فمنها عمادها ونظامها، وتصف الآخرة فمنها جنتها وضرامها، ومتى وعدت من كـرم الله جعلـت الثغـور تضحك في وجه الغيوب، وإن أوعدت بعذاب الله جعلت الألسنة ترعد مـن حمى القلوب، وهو للغة ثروة وثراء.

ويعضد ذلك ما ذكره السمين الحلبى (٣٨:١٩٩٦) مـن أن علـوم القرآن جمة ومعرفتها مؤكدة مهمة ، ومن جملتها المحتاج إليها ،والمعول في فهمه عليها،مدلولات ألفاظه الشريفة ، ومعرفة معانيـه اللطيفـة ؛ إذ بـذلك يترقى إلى معرفة أحكامه،وبيان حلاله وحرامه، ومناصى أقوالـه، وإشـارة مواعظه وأقواله ، فإنه نزل بأشرف لغة ؛ لغة العرب المحتوية على كل فن من فنون العجب.

ويورد عمر المقبل (٣١٣،١٣:٢٠١١) قواعد وردت فى القرآن تمثل أساسا لبناء النفس والترقى فى الحياة ومنها: قوله تعالى (وَلَـا تَـزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) (الأنعام:١٦٤)، وقوله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (الحجرات:١٣)، (وَالصُّلْحُ خَيْرٌ) (النساء:١٢٨)، و قوله تعالى (قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَـابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)(المائدة:١٠٠)، وقوله تعالى (اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا)(فاطر:٤٣) ، وقوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَـا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ)(الحجرات:٦) .

ويقول ناصر العمر(٢٠١٣ : ٢٥ ، ٢٦) منوها لحديث النبـى –

صلى الله عليه وسلم – "إن هذا القرآن سبب طرفه بيد الله، وطرفه بأيديكم ، فتمسكوا به ، فإنكم لن تضلوا، ولن تهلكوا بعده أبدا" (السلسلة الصحيحة:٧١٣):إن الطرف الذى بأيدينا هو اللفظ المنزل على النبي – صلى الله عليه وسلم – من أول سورة الفاتحة إلى سورة الناس ، وهذا الطرف من حبل القرآن المتين ، هو الذى يملك الناس التعامل معه ، فيشدونه ويتمسكون به، وأما الطرف الذى بيد الله – عز وجل – ولا يملك الإنسان التعامل معه، فهو أن القرآن " نور من عند الله،أنزله إلى خلقه يستضيئون به"(الطبرى) وهذا النور يسكبه الله– عز وجل – فى قلب المؤمن ومن شاء هدايته من الناس ،عند تلاوته للقرآن الكريم أو سماعه .

ويقف ابن القيم (٨٨:١٤٢٧)عند قوله تعالى " يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ" (الأنفال : ٢٤) ليقرر"أن الحياة النافعة إنما تحصل بالاستجابة لله ورسوله، فمن لم تحصل له هذه الاستجابة فلا حياة له، وإن كانت له حياة بهيمية مشتركة بينه وبين أرذل الحيوانات ، فالحياة الحقيقية الطيبة هى حياة من استجاب لله والرسول ظاهرا وباطنا ، فهؤلاء هم الأحياء وإن ماتوا، وغيرهم أموات وإن كانوا أحياء الأبدان.

ويورد محمد أحمد محمد معبد (١١٩:٢٠٠٥)، وعبد القادر محمد منصور(٢٢٦:٢٠٠٢) خصائص أخرى للقرآن ومنها: معارفه، وإعجازه، وأنه لا ينسب إلا إلى الله، والجمع بين البسملة والاستعاذة عند تلاوته، وحرمة تفسيره بمجرد الرأي، وتيسر حفظه وتلاوته، وأن قارئه لا يمله، وتحريم روايته بالمعنى، وأنه يتفلت من حافظه، ورسمه، وهيمنته على الكتب السابقة، وأنه شفاء للناس ، وقد أخرج ابن ماجة وغيره من حديث ابن مسعود (عليكم بالشفاءين العسل، والقرآن) وأخرج البيهقي في الشعب: أن

رجلا شكا إلى النبي – صلّى الله عليه وسلم – وجع حلقه، قال: "عليك بقراءة القرآن".

وبعد ما كان من استعراض لأهمية الثروة الغوية القرآنية ، كان لابد من ذكر المعايير التى نستطيع أن نحكم من خلالها على مدى فاعلية هذه الثروة.

ثالثا : أهداف الثروة اللغوية القرآنية :

الأهداف اللغوية لتدريس القرآن الكريم يذكرها سعيد على (٢٠٠٠:٤٥٤) بقوله: ومما يستهدف من تدريس القرآن الكريم للطلاب ، السمو بمستوى تفكيرهم فى الحياة وتذوقهم لأفانين القول ، وتطويع ألسنتهم على بليغ البيان القرآنى، وفصيح الكلام المعجز ، وإمدادهم بثروة عظيمة من الألفاظ والعبارات والتراكيب السامية البارعة ، والاطلاع على تعاليم الإسلام السمحة فى سجلها القرآنى الخالد، والوقوف على بعض مظاهر الإعجاز العلمى والتشريعى.

أما محمد صلاح الدين مجاور (١٩٧٦:٩٧) فيقول : إن الطفل يستطيع أن يحفظ القرآن ، وهذا الحفظ يمده بذخيرة لغوية بلا جدال ،هذه الذخيرة تساعده على النمو اللغوى ، وهى أيضا ربط له بأعظم مصدر لهذا المعتقد الذى يدين به ، والذى سيقضى حياته فى إطار حدوده.

ويوضح أحمد سالم بادويلان (٢٠٠٧: ١٧٥) أن من الأهداف التي يُسعى لتحقيقها من تدريس القرآن الكريم تقويم الألسنة، وتحصيل الكثير من الألفاظ والتعبيرات ، مما يؤدى إلى ارتفاع مستوى حصيلة المتعلم اللغوية كما وكيفا، بما يستمده من ألفاظ القرآن وعباراته، والاستخدام الدقيق للألفاظ والعبارات تعبيرا عما يجول فى خواطرهم ، وتحقيق مخارج الأصوات تحقيقا جيدا ، ولطف الانتقال من موضع صوتى إلى موضع صوتى آخر، فما الإنسان لولا اللسان إلا صورة ممثلة، أو بهيمة مرسلة، أو ضالة مهملة

على حد تعبير ابن عبد البر(١٤٠٢:١/٥٥).

فهل نعمل على تحقيق هذه الأهداف العظيمة ، وهل مناهج التربية الدينية تأخذ فى الاعتبار هذا الجانب اللغوى المعجز للقرآن الكريم ، وتبرزه وتعالجه معالجة مستفيضة هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى كيف يمكن تحقيق هذه الأهداف والتى بالطبع سيكون لها أبلغ الأثر فى تحقيق أهداف تدريس اللغة العربية ؟ نستطيع القول بأنه يمكن تحقيق هذه الأهداف ، إذ القرآن يزخر بآلاف النماذج اللغوية ، التى إن فهمناها ووعيناها ، تمكنا من تحقيق هذه الأهداف.

رابعا : صور من الثروة اللغوية القرآنية :

اشتملت الثروة اللغوية في القرآن على نماذج لغوية متعددة منها:

١- الأسماء والصفات :

ويذكر محمد علي الحسن (٢٠٠٠: ١٦) نقلا عن العلماء المحققين أن للقرآن نيفا وتسعين اسما ، وذكر بعضهم أقل من ذلك، قال القاضي أبو المعالي ــ رحمه الله ــ : اعلم أن الله تعالى سمّى القرآن بخمسة وخمسين اسما

٢- الأفعال والحروف :

وهذه كنوز أنّى يحصيها عد، أو يجمع أطرافها حد، إلا بعد طول جهد، فسورة كسورة الفاتحة التي يحفظها الكبار والصغار، ويرددونها ليل نهار، لو سألت كم فعلا فيها؟ فلن تجد إجابة.

٣- الصيغ اللغوية الأخرى:

ويضيف صبحى الصالح (٢٠٠٠ : ٢٩٩- ٣١٢) أن في القرآن من صيغ العموم ككل، وجميع، وكافة، وما في معناها، نحو " كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ" (الرحمن:٢٦) ، "هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا" (البقرة:٢٩) ،"ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً" (البقرة :٢٠٨)،وأسماء الموصول إفرادا وتثنية

وجمعا، وتذكيرا وتأنيثا، نحو "مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ" (البقرة :١٧) ، "واللذان يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا" (النساء:١٦)، "لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ " (يونس:٢٦) " وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ" (النساء :١٥)،والمعرف بأل تعريف الجنس مفردا كان نحو" وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا " (المائدة :٣٨) أو جمعا نحو " قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ" (المؤمنون:١)،و الجمع المعروف بالإضافة نحو (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ) (النساء:١١) ، "خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً" (التوبة:١٣). .

وهكذا يزخر القرآن بعشرات الآلاف من المفردات اللغوية، فيذكر محمد بكر إسماعيل (٢٠٠٠:١/٥٦-٦٧) أن عدد كلمات القرآن ٧٧٤٣٩ كلمة، وعدد حروف القرآن ٣٢٣٠١٥ حرفا، هذه الصيغ وغيره الكثير الكثير ، والذى لا يتسع المقام لبسطه ، من يسعى لتحصيلها ، فقد نال خيرا كثيرا ، لما تتضمنه من مضامين لها أثرها الفعال فى حياة الإنسان ، ولكن الكثيرين يغفلون عن ذلك ، وتضعف حصيلتهم اللغوية على إثر جهلهم بها ، فضلا عن أنهم يحرمون خيرها.

خامسا: أسباب ضعف المتعلمين فيها:

يبين خالد الزواوى(٢٠٠٦:٩٣) هذه الأسباب فيذكر منها: ضعف استخدام الفصحى فى التعليم ، والتأليف والتثقيف، والإعلام ، وقلة استخدامها فى التعامل التجارى والاجتماعى بجميع أشكاله وأنواعه، وقلة استخدامها فى المعاملات الرسمية فى كل مرافق الدولة ، مما يضعف الثقة باللغة، وبالتالى تحيد الأنظار والقلوب عنها؛ ومن ثم ضعف تلقينها ونشرها والارتقاء بها.

سادسا :خطورة الضعف فيها:

١- فقدان الذات والهوية

يذكر محمد عبدالرءوف الشيخ (٢٠٠٠ : ٧٤) أن قلة المحصول اللغوي للإنسان من مفردات وصيغ، يؤدى به إلى قلة إنشاء العلاقات الاجتماعية، والشعور بالفشل فى التكيف والتواصل مع الآخرين ، والميل نحو الانفراد والانطواء ، ومحدودية الخبرات ، واضطراب الشخصية وعجز الإنسان عن التعبير عن مشاعره وأفكاره بصورة طليقة؛ لعدم تمكنه من امتلاك الأدوات التى يستطيع من خلالها إدارة الحوار ، وضيق الأفق الثقافى والفكرى والعزوف عن القراءة ، وما من شك فى ما لهذه الآثار السلبية من ضرر كبير على الفرد وعلى المجتمع ، مما يؤدى إلى تخلفه وتأخره بين الأمم.

ويؤكد سليمان بن إبراهيم بن محمد العايد (٢٢:٢٠٠٠) محاولة البعض أن يعزلوا المسلمين عن قرآنهم ولُغته، حتّى عاب بعضهم على الرافعي أسلوبه، واقترح عليه ترك الجملة القرآنية، ويعنون بها اللغة العالية، والأسلوب الراقي، الذي يسمو بصاحبه إلى لغة القرآن، وأسلوبه، ومنطق رسول ــ الله صلى الله عليه ــ وسلم وأصحابه، وفصحاء العرب، وأدباء العربيّة. فهذا القرآن كما هو نور لعقولنا، وحياة لقلوبنا هو حَلاوة على ألسنتنا، وشارة كمالٍ في منطقنا وبياننا:

يديرونني عن سالمٍ وأُديرُهُمْ وجلدة بين العين والأنف سالمُ

يخاتلوننا ؛ ليصرفونا عن لغة القرآن وبيانه، كما خاتلونا ليصرفونا عن العمل به وتلاوته، حتى صار التجديد في اللغة والبيان عند كثيرٍ، هو التخلّي عن لغة القرآن وبيانه، والانسياق وراء الرطانة الأعجمية، واللكنة المعوجة، والدعوة إلى أن نسوّد الصفحات بأحرف عربية، ولغة غير عربية،

وإن تحلّت بزيّها ورسمت برسمها ، فالقرآن هو سرُّ هذه اللغة، وحياتهـا ، وكُلُّ حربٍ يديرها أعداؤنا وعملاؤهم للفصاحة والبلاغة، والبيان العالي ، لا يُقْصَدُ بها حرب اللسان والبيان، وإنما هي حربٌ لأصلهما من قرآنٍ وحديثٍ، وكلام سلف.

وأختم هذا المنحى بقول مصطفى صادق الرافعي (٢٧/٣:٢٠٠٠)::
ما ذلّت لغة شعبٍ إلاّ ذلّ، ولا انحطّت إلاّ كان أمره في ذهابٍ وإدبارٍ، ومـن هذا يفرض الأجنبيّ المستعمر لغته فرضاً على الأمّة المستعمَرة، ويـركبهم بها، ويُشعرهم عظمته فيها، ويستلحقهم من ناحيتها، فيحكم عليهم أحكاماً ثلاثةً في عملٍ واحدٍ: أمّا الأول فحَبْس لغتهم في لغته سجناً مؤبّداً، وأمّـا الثـاني فالحكم على ماضيهم بالقتل محواً ونسياناً، وأمّا الثالث فتقييد مـستقبلهم فـي الأغلال التي يصنعها، فأمرُهم من بعدها لأمره تَبَعٌ .

٢- تدني مهارات اللغة العربية:

ينوه كل من(Nation (2004:12-24 و(Zhi-liang (2010:152
إلى الدور المحوري للثروة اللغوية في القدرة علـى اسـتخدام اللغـة ، وأن مهارات اللغة الأربع وأن مهارات اللغة الأربع تعتمد اعتمادًا كبيرًا على حجم الثروة اللغوية التي يحصلها متعلم اللغة، ولاسيما في المراحل الأولـى مـن تعلمه، إذ يحتاج المتعلم إلى تعلم قدر كاف من الكلمات شـائعة الاسـتعمال ؛ ليتمكن من النجاح في تعلم اللغة واستخدامها .

يقول رجب محمد عبدالله (٦٠:٢٠١٢) : إن اللغة وحدة واحدة وكل متكامل، فليس هناك انفصال بين مهاراتها ، حيث إن نمو أى مهارة يعمـل على نمو المهارات الأخرى ، فاللغة هى الوسيلة التى يتم من خلالهـا نقـل المعرفة والأفكار إما سمعيا أو بصريا ، وكل ذلك يـستلزم بالـضرورة أن يكون لدى الفرد ثروة لغوية تمكنه من عملية النقل.

ويؤكد Lee (2003:237) أن الثروة اللغوية العنصر الأساسى فى تكوين النص المكتوب ، والمنطوق على السواء،ويعتبر حسن شحاتة(٢٠١٢:١٧٩) أن الثروة اللغوية أساس فى تعليم اللغة،ويذكر Zimmerman(2004) أن حجم الثروة اللغوية يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالقدرة على الكتابة والاستيعاب القرائي.

يقول عوض (٢٠٠٠:٤٣) وانطلاقا من عملية التأثير والتأثر ، يظهر دور الثروة اللغوية فى تنمية مهارات اللغة العربية،ولذا يرى Khoury (2008:88) أنه يجب جعل اكتساب الثروة اللغوية في بؤرة الاهتمام في مناهج تعليم اللغة العربية والأنشطة الصفية، والمواد التعليمية، والمشاريع البحثية.

واستنادا إلى ما سبق يتضح بشكل لا ريب فيه أهمية الثروة اللغوية وأثرها فى تنمية مهارات اللغة ، ولا توجد نماذج أعلى قيمة ولا أثرى لغة ولا أجمل أسلوبا ولا أغنى ألفاظا من قراءة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، فمثل هذه النصوص لها أثرها فى تهذيب اللغة وإنمائها.

سابعا: وسائل تنمية الثروة اللغوية القرآنية:

١- إتباع منهج السلف مع القرآن الكريم:

يقول صلاح عبد الفتاح الخالدي (٢٠٠٣ : ٥٧) : ولقد عاش الرعيل الأول من هذه الأمة مع القرآن، فتحققت لهم الحياة تلك الحياة السعيدة التى وصفها الله تعالى فى كتابه ، ولقد ذاق السلف طعم تلك الحياة وعرفوا مصدرها ، فوثقوا علاقتهم بها تدبرا وعلما وعملا،إن أمتنا اليوم تجرب كل ما أنتجته أفكار العباد القاصرة ، من نظريات قاصرة زُعم أنها تحقق السعادة، وتجلب الرخاء والرغد ، ولكن لم تجن الأمة من وراء تلكم النظريات الأرضية إلا الشقاء والمصائب، وما بقى لها إلا أن تقدم على

الكتاب ، الذى ستسأل عنه يوم القيامة تدبرا وتطبيقا وتحكيما.

٢- معرفة فضل العلم بكتاب الله، وأثر التمسك به:

يقول عبد العزيز السدحان (٢٠٠٤: ١٩٣) :لقد كان حفظ القرآن عند أهل العلم من الأساسيات التى يبدأ بها طالب العلم ،ولذا فقد كان الواحد فيهم لا يتردد عن الشروع بحفظه وضبطه ، فأصبح حفظه سمة بارزة فى مجتمع أهل العلم وطلبته ، والناظر فى كتب التراجم يرى مصداق ذلك ، بل العجيب أن بعضهم كان يعاب بعدم حفظه للقرآن، ومن شواهد ذلك ما ذكره الحافظ ابن حجر فى تقريب التهذيب فى ترجمة عثمان بن محمد بن أبى شيبة، قال ما نصه: (ثقة حافظ شهير ،وله أوهام ، وقيل : كان لا يحفظ القرآن)، وليعلم طالب العلم أن حفظه للقرآن والعمل به مما يزيده رفعة وعلواء، كما ورد فى الحديث"إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع آخرين"(رواه مسلم)، وقال أبو الفضل الرازي : وعلى الحفظ والتحفيظ كان الصدر الأول ومن بعدهم، وقد مدح الله أهل العلم بقوله تعالى " بل هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ " (العنكبوت: من الآية ٤٩).

كما أن صاحب القرآن مقدم فى الدنيا والبرزخ والآخرة ، فأما تقديمه فى الدنيا، فهو أولى بالإمامة بين الناس " يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله فأعلمهم بالسنة"(رواه مسلم) ، وتقديمه فى هذا المقام الشريف دليل على شرف منزلته، وأما تقديمه فى البرزخ فيشهد له ما رواه البخارى من أمر النبى- صلى الله عليه وسلم- فى قتلى أحد،إذ شق أن يدفن كل ميت فى قبر ، فاستأذنوا النبى- صلى الله عليه وسلم- فى دفن الرجلين والثلاثة فى القبر الواحد فأذن لهم ، وكان - صلى الله عليه وسلم- يشرف على الدفن ، فكانوا إذا جاءوا بالأموات سأل النبى- صلى الله عليه وسلم-:"أيهم أكثر أخذا للقرآن؟" فإذا أشير إلى أحدهم قدمه .

٣- خيرية من تعلَّم القرآن وعلمه:

إن في تعلّم القرآن الكريم وتعليمه خيرا كثيرا، وفضلا جزيلا وذلك لما يعود على العالم والمتعلم من الأجر والمثوبة، فعن عثمان بن عفان ـــــــــ رضي الله عنه ـــ عن النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ قال: خيركم من تعلم القرآن وعلمه. ورواية أخرى: إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه (البخارى)،فمتى عرف المتعلمون كل هذا الفضل لقراءة القرآن وفهمه والعلم والعمل به، ربما حرك هذا نفوسهم الراكدة، وقلوبهم الجامدة، وهممهم الخامدة، فأقبلوا في روح عالية يحاكون السلف لعلهم يكونون خير خلف، ينهجون طريقهم القويم، فيصبحون ويمسون مع القرآن الحكيم يحفظون لفظه، ويبحثون عن معناه في متون المعاجم اللغوية.

٤- مدارسة المعاجم اللغوية:

إن استخدام المعجم من الاستراتيجيات المهمة التى ذكرها Çelik (2010:357) و Pavicic (2001:67)، و Fan(2003:222) فى زيادة الثروة اللغوية ، فالمعاجم مصادر لتعلم اللغة، تزود المتعلمين بمعلومات جوهرية تتعلق بالكلمات بما في ذلك كيفية نطقها ورسمها واشتقاقاتها ومعانيها واستخداماتها مع تحديد وقت استخدام المعجم كما نوه Morin(2006) ؛ حتى لا يصاب المتعلم بإرهاق أو ملل ، وبهذا يمكن للمعجم أن يسهم فى زيادة المحصول اللغوى.

ويذكر محمد عبد الغني الدقر(١٩٨٢:٢)أن المعاجم اللغوية من أهم المصادر لاكتساب وتنمية المفردات، ويقول: وقد سبق علماء اللغة بوضع المعاجم لمفردات اللغة ، وفيها جميع ما يتعلق بها من معان، وقد كانت قبل ذلك مفرقة في كتب كثيرة، فمن اليسير جداً أن يجد امرؤ حاجته في معاجم اللغة من غير عناء.

ولا يخلو معجم لغوي قديم أو حديث وهو يوضح معاني الكلمات إلا ويستشهد بالآيات، التي تدعم معناه ليقنع بمحتواه، يقول أبو بلال أحمد بن محمد الخراط(١٩:٢٠٠٠):" وأسهمت (معاجم اللغة) المنهجية في بيان المعاني المحتملة للمفردة القرآنية، وأوردت أقوال أهل اللغة في ذلك، ومن المعروف أن عملية الجمع المنظَّم لمفردات اللغة وترتيبها في مصنفات معجمية ،أفادت الدراسات القرآنية إفادة واسعة؛ من حيث إنها قدَّمَتْ فيضاً من الشواهد والأقوال واللغات التي تدور حول المفردة القرآنية، ولا تخلو هذه المعاجم ، ولاسيما المطولة منها من تفسير غريب القرآن، وضبط ألفاظه، وبيان لهجات العرب المختلفة ،ومن هذه المعاجم (تهذيب اللغة) للأزهري، و (لسان العرب) لابن منظور، و (تاج العروس) للزبيدي،

ويؤكد مساعد بن سليمان الطيار(١٤٢٢:٣٨٨،٤٢٩)أن المعاجم اللغوية تزخر بآلاف الصيغ القرآنية ، وشرح لها ويضرب أمثلة لذلك بثلاثة معاجم هى (العين) للخليل بن أحمد الفراهيدى، و (تهذيب اللغة) للأزهرى، و(جمهرة اللغة) لابن دريد، واعتبر مساعد بن سليمان أن تلك المعاجم وما حوته من ألفاظ ومفردات قرآنية ، كانت مصدرا رئيسا اعتمد عليه المفسرون للكتاب العزيز.

فعلى الإنسان أن ينهل من هذا المعين اللغوى الذى لا ينضب ما يغني حصيلته اللغوية ، وينميها ، ويجعلها مرنة طيعة في مجال الأخذ والعطاء، وينبغي أن تنتقي منها الألفاظ ،وتقدم عبر وسائل الإعلام في برامج معينة، وفي سياقات مترابطة وملائمة، وعلى نحو مرحلي وتدرجي، يراعي قدرات الناشئة وقابليتهم على التصور والحفظ والإدراك والفهم، وذلك من خلال قراءة نصوص من القرآن الكريم والحديث الشريف.

كما أن ألفة المتعلم بمصاحبة المعاجم اللغوية ، تجعله يسارع نحوها؛

فيحسن التعامل معها، والكشف في محتوياتها، عن أي لفظ صعب عليه، وإن كثيرا من المتعلمين ما فتحوا معجما قط، ولا نبههم أحد لذلك، فهو حقل خصيب يقدم أزاهير اللغة وأغصانها وأفنانها، التي تعمل على زيادة الثروة اللغوية القرآنية التي يسهل الانتفاع بها، والعمل بمضمونها.

يقول سلمان بن عمر السنيدى (٢٠٠٢: ٩٠، ٩١) : إن من يجيد تلاوة القرآن الكريم لا تقتصر الإجادة على التلاوة فقط، بل تتعدى إلى اللغة العربية كلها، فنجد أن خير من يتحدث بالفصحى في الخطب والدروس هم من تربوا في غالب الأمر على موائد القرآن الكريم تلاوتاً وحفظا.

المراجـــع

١- أبو القاسم الحسين بن محمد (١٤١٢): المفردات في غريب القرآن، تحقيق صفوان عدنان داوودى،بيروت،الدار الشامية.
٢- أحمد بن محمد الخراط (٢٠٠٠):عناية المسلمين بالقرآن خدمة للغة العربية،الطبعة الأولى،المدينة المنورة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
٣- أحمد عبده عوض(٢٠٠):مداخل تعليم اللغة العربية،مكة،معهد البحوث العلمية.
٥- أحمد يوسف بادويلان (٢٠٠٧):أسرار حفظ القرآن الكريم،الطبعة الثانية،الرياض،دار المؤرخ.
٦- ابن القيم(١٤٢٩): الفوائد،الطبعة الثانية،مكة،مجمع الفقه الإسلامى.
٧- ابن عبد البر(١٤٠٢):بهجة المجالس ،الطبعة الثالثة،بيروت،دار الكتب العلمية.
٨- أبو الحسن الحلبى(١٩٩٦):عمدة الحفاظ فى تفسير أشرف الألفاظ،الطبعة الأولى،بيروت،دار الكتب العلمية.
٩-حسن سيد شحاتة وأخرون(١٩٨٨):تعليم التربية الإسلامية،الطبعة الأولى،القاهرة،الدار المصرية اللبنانية.
١٠- حسن شحاتة(٢٠١٢):المؤتمر العلمى الثانى عشر بعنوان(تحديات تعليم القراءة في الصفوف الثلاثة الأولى من المرحلة الابتدائية)المنعقد بدار الضيافة،جامعة عين شمس فى الفترة من ١١-١٢ يوليو ٢٠١٢.

١١-خالد الزواوى(٢٠٠٦):إكساب وتنمية اللغة،الطبعة الأولى،الإسكندرية،مؤسسة حورس.

١٢- رجب محمد عبدالله(٢٠١٢):فاعلية وحدة من القصص النبوى فى تنمية الثروة اللغوية فى المرحلة الإعدادية،رسالة ماجستير، كلية التربية،كفلر الشيخ.

١٣- عبد العزيز السدحان(٢٠٠٤)معالم فى طريق طلب العلم،القاهرة،دار ابن الهيثم.

١٤- عبد القادر محمد منصور(٢٠٠٢):موسوعة علوم القرآن ،الطبعة الأولى،حلب،دار القلم العربى.

١٥- عبد الفتاح محمد سلامة(١٤٠٠): أضواء على القرآن الكريم،المدينة المنورة،الجامعة الإسلامية.

١٦- عمر المقبل(٢٠١١): قواعد قرآنية،الطبعة الثالثة،الرياض،مركز تدبر للنشر.

١٧- سعيد إسماعيل على(٢٠٠٠): القرآن رؤية تربوية،الطبعة الأولى،القاهرة،دار الفكر العربى.

١٩- سليمان بن إبراهيم بن محمد العايد(٢٠٠٠): عناية المسلمين باللغة العربية خدمة للقرآن الكريم، المدينة المنورة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

٢٠- صبحى الصالح(٢٠٠٠):مباحث فى علوم القرآن،الطبعة الأولى،بيروت،دار العلم.

٢١- صلاح عبد الفتاح الخالدى(٢٠٠٣): مفاتيح للتعامي مع القرآن،الطبعة الثالثة،دمش،دار القلم.

٢٢- محمد أحمد محمد معبد(٢٠٠٥)نفحات من علون القرآن،الطبعة

الثانية،القاهرة،دار السلام.
٢٣- محمد بكر إسماعيل(٢٠٠٢):دراسات فى علوم القرآن، القاهرة،دار المنار.
٢٤- محمد صلاح الدين مجاور(١٩٧٦)تدريس التربية الإسلامية،بيروت،دار القلم.
٢٥- محمد عبد الغنى الدقر(١٩٨٢): معجم القواعد العربية،دمشق،دار القلم.
٢٦- محمد عبد الرءوف الشيخ(٢٠٠٠): أثر السجع والجناس فى تنمية الثروة اللغوية،مجلة القراءة والمعرفة،كلية التربية،عين شمس.
٢٧-محمد على الحسن(٢٠٠٠):المنار فى علوم القرآن،الطبعة الأولى،بيروت،مؤسسة الرسالة.
٢٨- محمد فاروق النبهان(٢٠٠٤): المدخل إلى علوم القرآن،الطبعة الأولى،دمشق،دار العلم.
٢٩- مرزوق بن تنباك(٢٠٠٥):اللغة العربية فى القرن الحادى والعشرين فى المؤسسات التعليمية السعودية،الطبعة الأولى،الرياض،طيبة.
٣٠- مساعد بن سليمان الطيار(١٤٢٢): التفسير اللغوى للقرآن الكريم،الطبعة الأولى،القاهرة،دار ابن الجوزى.
٣١مصطفى صادق الرافعى(٢٠٠٠): تحت راية القرآن،القاهرة المكتبة العصرية.
٣٢- ناصر العمر(٢٠١٣):أفلا يتدبرون القرآن،الطبعة الأولى،الرياض،دار الحضارة

33-Çelik, S. (2010). Telling ELT Tales out of School, learning strategy use of Turkish EFL learners. Vocabulary Procedia Social and Behavioral Sciences, 3, 62-7

34-Fan, M. Y. (2003). Frequency of Use, Perceived Usefulness, and Actual Usefulness of Seco Language

Vocabulary Strategies: A Study of Hong Kong Learners. The Modern Language Journal, 87(2), 222-241.

35-Khoury, G. (2008). Vocabulary acquisition in Arabic as a foreign language: The root and pattern strategy Unpublished Ph.D.dissertation, Boston University.

36-Lee, S. H. (2003). ESL learners' vocabulary use in writing and effects of explicit vocabulary instruction. System, 31561.

37-Morin, R. (2006). Building Depth of Spanish L2 Vocabulary by Building and Using Word Families. Hispania, 89(1), 170-182.

38-Nation, P. (2008). Lexical Awareness in Second Language Learning. In J. Cenoz and N. H Hornberger (Eds.), Encyclopedia of Language and Education (2nd ed., Vol. 6 , Knowledge about Language, pp. 167-177).

39- Pavicic, T. V. (2008). Vocabulary Learning Strategies and Foreign Language Acquisition. Clevedon, UK: Multilingual Matters.

40-Zhi-liang, L. (2010). A Study on English Vocabulary Learning Strategies for Non- English Majors in Independen College. Cross-Cultural Communication, 6(4), 152-164.

41-Zimmerman, K. J. (2004). The role of vocabulary size in assessing second language proficiency.Unpublished Master, Brigham Young University.